الفصل الثاني

دور القيم الإيمانية في ضبط سلوكيات رجال الأعمال

◆ - استهلال :

يجب أن يتحلى ويلتزم رجال الأعمال بمجموعة من القيم الإيمانية التي تحجم هوى النفس عن حب المال، وبحيث لا تطغى شهوة حبه على عبادة الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه بالطاعات، ولقد قرن الله سبحانه وتعالى آيات المعاملات في القرآن الكريم بالإيمان والتقوى ، ومن أمثلة ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة] ، وقوله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ

عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة] ، ولقد ربط الله سبحانه وتعالى الزكاة بالطهارة والتزكية، ومثال ذلك قوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ [التوبة].

ومن الأشياء التي تضبط هوى نفس رجل الأعمال عند التعامل مع المال هو الالتزام بالقيم الإيمانية العقدية، فإن لها تأثيرًا جوهريًّا على ضبط سلوكياته وتصرفاته وقراراته، وهذا ما سوف نتناوله بشيء من التفصيل في هذا الفصل .

◆ -القيم الإيمانية لرجال الأعمال:

من أهم القيم الإيمانية التي يجب أن يعتقدها رجال الأعمال ما يلي:

١- الإيمان بقضية الاستخلاف في الأرض، وأن المال عارية، وأنه ملك لله سبحانه وتعالى، ويجب على رجل الأعمال التعامل في هذا المال وفقًا لشرع المالك الحقيقي له وهو الله، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ [الحديد] ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه].

٢- الإيمان بأن الله سخر للإنسان أشياء أخرى لتعينه على عمارة الأرض ولم يُمَلِّكها لأحدٍ من عباده مثل الشمس والقمر والسحاب والماء والنار والهواء، وهذا يوجب الشكر، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم].

٣- الإيمان بالتفاوت في الأرزاق، فعلى رجل الأعمال أن يأخذ بالأسباب وبالسنن الكونية للكسب، ويرضى بما قسمه الله له، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [المُلك]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل].

٤- الإيمان بأن مزاولة النشاط عبادة وفريضة وشكر لله وواجب حيوي، فلا يجوز الفصل بين العبادات والمعاملات، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة] ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم] ، وقول رسول الله ﷺ : **"طلب الحلال فريضة بعد الفرائض"** (رواه الطبراني عن عبد الله بن عباس).

– الإيمان بأن الله يراقب الناس على كل تصرفاتهم ومنها ما يتعلق بالمعاملات، وأساس ذلك القلب الذي يخشى الله، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وقول رسول الله ﷺ عندما سُئل عن الإحسان، فقال: **" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"** (رواه مسلم).

– الإيمان بالمحاسبة الأخروية عن المال من أين اكتسب وفيم أنفق، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحِجر] ، ويقول رسول الله ﷺ : **"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به"** (رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي).

* * *

◆ - أثر القيم الإيمانية في ضبط سلوكيات رجال الأعمال:

تؤثر القيم الإيمانية في ضبط سلوكيات رجال الأعمال على النحو التالي :

- عدم الفصل بين المعاملات والعبادات؛ فهما أمران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما.
- الالتزام بشرع الله المالك لكل شيء في المعاملات وتحرّي الحلال الطيب وتجنب الحرام الخبيث.
- الربط بين تحقيق الحياة الكريمة في الدنيا والفوز برضاء الله في الآخرة.
- الارتياح النفسي في حالات الرواج والكساد والربح والخسارة .
- الاطمئنان بأن الرزق بيد الله وما عليه إلّا السعي والأخذ بالأسباب.
- تجنب أن تُلهِي المعاملات عن الفرائض والواجبات الدينية، فالمواظبة على العبادات من موجبات البركة في المعاملات.

◆ -الخلاصة :

لقد خلصنا في هذا الفصل إلى أن الإسلام يربط القيم الإيمانية بالمعاملات المالية وهذا يؤثر على سلوكيات رجال الأعمال من حيث الانضباط والرشد والتطوير والنمو والاستقرار، وهذه الخلاصة تفسر الإعجاز القرآني في أن آيات المعاملات في القرآن الكريم قد قرنت بالقيم الإيمانية.

obeikandl.com

* * *

obeikandl.com